الكتب في فضله والذي حدّه أولا قد يفسّر صاحبه أنواع العلوم ويكون ممن قيل فيه لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في أصحاب السعير والعقل الممدوح قد يكون اكتسابا وأيضا من قال هو عرض مخالف لسائر العلوم والأعراض فقوله موافق لقول من قال هو قوة يفصل بها بين حقائق المعلومات وقول أحمد هو غريزة يتناول هذه القوة ولهذا افرق بين ذلك وبين العلم وأبو الحسن التميمي قال هو كالعلم ولم يقل هو من العلم فههنا امور احدها علوم ضرورية يفرق بها بين المجنون الذي رفع القلم عنه وبين العاقل الذي جرى عليه القلم فهذا مناط التكليف والثاني علوم مكتسبة تدعو الانسان الى فعل ما ينفعه وترك ما يضره فهذا ايضا لا نزاع في وجوده وهو داخل فيما يحمد به عند الله من العقل ومن عدم هذا ذم وان كان من الأول وما في القرآن من مدح من يعقل وذم من لا يعقل يدخل فيه هذا النوع وقد عدمه من قال لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في أصحاب السعير

الثالث العمل بالعلم يدخل في مسمى العقل ايضا بل هو من أخص ما يدخل في اسم العقل الممدوح وهذان النوعان لم يتنازع الأولون في وجودهما ولا في انهما يسميان عقلا ولكن قالوا كلامنا في العقل الذي هو مناط التكليف للفرق بين العاقل والمجنون وهذا لا بد منه ولا خلاف في ذلك فالنزاع فيهما لفظي الامر الرابع الغريزة التي بها يعقل الانسان فهذه مما تنوزع في وجودها فانكر كثير من الأولين ان يكون في الانسان قوة يعلم بها غير العلم او قوة يبصر بها غير البصر او قوة يسمع بها غير السمع وجعلوا اثبات ذلك من جنس قول الفلاسفة والطبائعيين الذين يجعلون في الاجسام قوى يفعل بها وقد بالغ في ذلك منهم القاضي ابو بكر ابن العربي في العواصم والقواصم واصل ذلك تقريرهم ان الله تعالى خالق كل شيء لا خالق غيره وهذا مذهب سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة وهو أخص ما امتاز به الاشعري عن طوائف المتكلمين وبالغ في ذلك حتى جعل أخص أوصاف الرب القدرة على الاختراع ومن زعم ان هذا معنى الإلهية وفي الأصل رد على القدرية القائلين بان الله تعالى لم يخلق افعال الحيوان

١٩

وعلى القدرية المجوسية وأتباعهم من أهل النجوم والطبع القائلين بأنها تفعل بغير الله لكن زاد من زاد منهم في ذلك أشياء ليست من السنة بل تخالف السنة حتى ردوا بدعة ببدعة فدخل بعضهم في اثبات الجبر الذي انكره السلف والأئمة حتى توسل بذلك قوم الى اسقاط الامر والنهي والوعد والوعيد وانكر منهم ما جعله الله تعالى يحدث الشبع والري عند وجود الاكل والشرب لا بهما وكذلك يحدث النبات عند نزول المطر لا به ونحو ذلك وهذا خلاف ما جاء به الكتاب والسنة قال الله تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات وقال الله تعالى وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وقال فاحيينا به بلدة ميتا وقال الله تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وقال يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ومثل هذا كثير ونفي هذه الأسباب ان تكون اسبابا في الامور المخلوقة جنس يشبه نفي طوائف من المتصوفة ونحوهم لما يأمرون به من اعمال القلوب وغيرها من الامور المشروعة نظرا الى القدر ودعوى التوكل كما قد بسطنا الكلام في ذلك في غير هذا الموضع ولهذا قال من نظر في هذين الفريقين كابي حامد الغزالي وابي الفرج ابن الجوزي وغيرهما في كتاب التوكل اعلم ان الالتفات الى الاسباب شرك في التوحيد ومحو الاسباب ان تكون اسبابا تغير في وجه العقل والاعراض عن الاسباب بالكلية قدح في الشرع والسلف والأئمة متفقون على اثبات هذه القوى فالقوى التي بها يعقل كالقوى التي بها يبصر والله تعالى خالق ذلك كله كما ان العبد يفعل ذلك بقدرته بلا نزاع منهم والله تعالى خالق قدرته فانه لا حول ولا قوة الا بالله والحول اسم لكل تحول من حال الى حال والقوة عام في كل قوة على الحول فنفي القوة كنفي الحول وقد بسطنا الكلام في غير هذا الموضع فيما يقع من الاشتباه والنزاع في قدرة العبد هل هي مؤثرة في الفعل او في بعض صفاته او غير مؤثرة بحال وقد وقع تسمية هذه القوة عقلا في كلام طوائف منهم ابو المعالي الجويني في اصول الفقه ان العقل صفة يدرك بها العلم وجملة صفات الحي وكان يقول في التلخيص انه يثبت سمة ادراك النفس

ذكر